وصف الطبيعة عند الحلّي و وردزوث: دراسة مقارنة

الدكتور شاكر العامري*، الدكتور عباس مرادان**، محمدتقي رئيسي***، فاطمة محموديان****

الملخّص

الموضوع الرئيس الذي يدور حوله البحث هو وصف الطبيعة لدى اثنين من الشعراء من مدرستين مختلفتين وبيئتين مختلفتين هما صفيّ الدين الحلّي، أشهر شعراء العصر المغولي في العراق أو العصر المملوكي في مصر والشام والشاعر الإنجليزي وليام وردزورث عميد المدرسة الرومانسية في بريطانيا، فكانا متعاندين في نظرتهما للطبيعة.

تناول البحث في البداية مختصراً من حياة كلا الشاعرين والخصائص الأدبية لعصريهما ثمّ عرّج على أسلوب وصف الطبيعة لديهما. أمّا الموضوع الأصلي للبحث فهو تحليل ثلاث من قصائد الشاعرين من نواحي الألفاظ والمعاني والبناء والبلاغة والمقارنة بينهما لتبيين نقاط اشتراكهما واختلافهما، ليصل في نهاية المطاف إلى هذه النتيجة، وهي أنّ العاطفة تكاد تنعدم في صور صفيّ الدين الحلي لذلك لا يستطيع الانسجام مع الشاعر أو التواصل معه وهو يمثّل دور الراوي ولا نرى الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقّي الذي يحسّ بلاهدفية الشعر وغياب الشاعر، بينما نرى في قصائد وليام وردورث صوراً كاملة لحالات الشاعر المختلفة.

كلمات مفتاحية: صفيّ الدين الحلّي، وليام وردزورث، وصف الطبيعة، العروض، البلاغة.

---

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، إيران. sh.ameri@semnan.ac.ir

** أستاذ مساعد في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة سِمنان، إيران.

*** طالب ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة سِمنان، إيران.

**** طالبة ليسانس في اللغة الإنجليزية وآدابها بجامعة سِمنان، إيران.

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٠٦/٢٨هـ.ش= ٢٠١١/٠٩/١٩م تاريخ القبول: ١٣٩٢/٢/٠٦ هـ.ش = ٢٠١٣/٠٤/٢٦م

المقدمة

لقد كانت الطبيعة، ومازالت، منبعاً مهماً للإلهام لكافة الشعراء في كافة العصور والأزمنة والأمكنة، حيث كان الشعراء، ولازالوا، يجدون في الطبيعة وسيلة مناسبة لشرح خلجات نفوسهم و بيان أحاسيسهم فكانوا يرتمون في أحضانها فيعكسون لنا صوراً جميلة منها انطبعت في قلوبهم و ظهرت على ألسنتهم.

وفي هذا البحث، سنتناول وصف الطبيعة لدى اثنين من الشعراء المعروفين في عصريهما؛ صفيّ الدين الحلّي شاعر العصر المملوكي المشهور، و وليام وردزورث الشاعر البريطاني الرومانطيقي البارز في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

إنّنا نستطيع أن نقارن بين الأشعار المتحدة المضامين حتى وإن اختلفت أساليبها للوصول إلى الاختلافات بين المدارس المختلفة والأساليب في كلّ عصر أولسان.

منهج البحث وهدفه وضرورته

إنّ المنهج الذي سار عليه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي. أما هدف البحث فهو الكشف عن الجوانب الأدبية الإنسانية التي تربط بين بيئتين وثقافتين مختلفتين متباعدتين، بل بين مدرستين أدبيّتين انتمى لهما الشاعران؛ إحداهما هي المدرسة الكلاسيكية التقليدية بمعناها التراثي التي كان صفيّ الدين الحلّي يقتفي آثارها ويهتدي بخطى الذين سبقوه رغم تغيّر ملامحها بما أضفاه عليها من طابع عصره وصفات زمانه، و لم تكن المدارس الأدبية قد ظهرت بعد في الأدب ولكن درج النقاد على تسمية كل ما يمت إلى القديم والتراث بصلة ويسير على خطى الأقدمين بالكلاسيكي، لذلك دعوا البارودي وحافظ أبراهيم وغيرهما من الإحيائيين بالكلاسيكيين لأنهم حاولوا إحياء التراث فساروا على خطى الماضين. والأخرى هي المدرسة الرومانسية التي كانت ثورة على النمط الكلاسيكي القديم بكافة أساليبه ونظرته للحياة، معتبرةً الإنسان، الذي هو جزء من الطبيعة، محوراً في التفكير الأدبي منه تنطلق الحياة ومن خلاله تُلمس؛ والطبيعة أمّه التي يرتمي في أحضانها هروباً من زحمة الحياة الصاخبة الممسوخة والخالية من عاطفة أو إحساس وذلك حسب النظرية الأمريكية في الأدب المقارن[١].

[١]- من الاتجاهات النقدية التي تعارضت مواقعها النظرية والتطبيقية تعارضاً شديداً مع الاتجاه التاريخي الفرنسي والاتجاه الماركسي

إنّ تناول وصف الطبيعة من قبل شاعرين من شعراء الجمال، سواء ما كان من تلك الأشعار وسيلة لبيان الأفكار أو مدح الملوك والأمراء، أو ما كان غاية في نفسه، إضافة إلى أسلوب الشاعرين في وصف الطبيعة هو ما دعانا إلى كتابة هذا البحث، حيث تبين المقارنة في هذا المجال وجوهاً من التشابه بين أسلوبها رغم الاختلافات الكثيرة بين الرجلين، وهو ما سيشاهده القارئ العزيز في الصفحات التالية.

سنتناول في البداية مختصراً من حياة كلا الشاعرين والخصائص الأدبية لعصريهما ثمّ نعرّج على أسلوب وصف الطبيعة لديهما ونظرتهما إليها لنصل إلى الموضوع الأصلي للبحث، ألا وهو تحليل ثلاث من قصائد الشاعرين من نواحي الألفاظ والمعاني والبناء والبلاغة وتبيين نقاط اشتراكهما واختلافهما.

سابقة البحث

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ الطبيعة دائماً كانت مُلهِماً بالغ التأثير في نفسية الشاعر العربي، وقد مضى أسلافه في الجاهلية يَصْدرون عنها في أشعارهم. ومضى شعراء العصر الأموي على سُنّة آبائهم يستلهمون صحراءهم، مزاوجين على شاكلتهم بين حبّ الطبيعة وحبّ المرأة، إذ يفتتح الشاعر غالباً مطولاته بوصف أطلال الديار التي قضى بها شبابه مع بعض صواحبه، ويسترسل في الحديث عن ذكريات حبّه[١]. وأهم شعراء العصر الجاهلي الذين برعوا في شعر الطبيعة امرؤ القيس، وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى.

وقد كان لشعراء الشام، منذ القدم، عناية بوصف طبيعة بيئتهم ومشاهدها الخلابة، فقد جاء في أخبار العصر العباسي الأول عناية أبي تمام بوصف الطبيعة في مقدمات مديحه أو بشكل مستقل في بعض أشعاره، من ذلك وصفه للربيع، وكذلك وصفه للطير وأحاسيسه. وقد ذكر في كتاب العصر العباسي الثاني عند براعة البحتري في وصفه للطبيعة وكان يحسن تصوير مناظرها الساحرة. ونلتقي في

في الأدب المقارن المسمى بالمدرسة السلافية ذلك الاتجاه النقدي الذي يُعرف "بالنقد الجديد" (New Criticism). فقد حمل رينيه ويليك، وهو أبرز ممثلي هذا الاتجاه على دراسات التأثير وأسسها الفلسفية والنظرية وتطبيقاتها ودورها، وذلك في محاضرة تاريخية ألقاها عام ١٩٥٨ في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن الذي انعقد في جامعة "تشابل هيل" الأمريكية. (انظر: عبدة عبّود (١٩٩٩م)، الأدب المقارن: مشكلات وآفاق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ص٤٥)

[١] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي**، صص٣٨٥-٣٨٦.

أوائل عصر الدول والإمارات بكشاجم[١]. وأهم شعراء الطبيعة في العصر العباسي ابن الرومي وابن المعتز والصنوبري. وكثر في العصر الفاطمي حديث الشعراء عن صور مباهج الطبيعة، وزينة الحياة ومسرّاتها، ووصف للروض والزهر[٢]. وتغنّى شعراء الأندلس بطبيعتها الغنّاء، حيث أورد شوقي ضيف كثيراً من أسمائهم تحت عنوان "شعراء الطبيعة والخمر"، من قبيل: ابن عبد ربّه، والرمادي، وعبد الملك الجزيري، والرصافي، ومحمد بن إدريس، وأبي الحجاج، وابن خاتمة، وعبادة بن ماء السماء الأنصاري، وعبد الرحمن بن مقانا، وعلي بن حِصْن، وأميّة بن أبي الصّلت، ومحمد بن سفر[٣]. وذكرت جميلة الخوري منهم ابن خفاجة، وابن زيدون، وأبو عبد الله بن السيد البطليوس، وابن سهيل الأندلسي[٤].

ومن أبرز ما كُتب عن الطبيعة في الأدب العربي، كتاب "شعر الطبيعة في الأدب العربي"لسيد نوفل، وكتاب "الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول"لأنور عليان أبو سويلم، وكتاب "فن الوصف وتطوره في الشعر العربي"لإيليا الحاوي، وكتاب "الطبيعة في الشعر الجاهلي" لنوري حمودي القيسي. ومقالة تحت عنوان "الطبيعة الحية في شعر ابن الرومي" لكبرى روشنفكر في مجلة العلوم الإنسانية ٢٠٠٦م/ العدد ١٣. ومن أهمّ الصعوبات التي واجهتنا في سبيل إعداد البحث قلّة المصادر والمراجع حول شعر صفي الدين الحلي خاصة عناصر الطبيعة في شعره، و لم نعثر على أيّ كتاب أو مقالة حول الطبيعة في شعره.

وقد كانت الطبيعة الموضوع الأصلي لعدد من الشعراء في العصور المختلفة للأدب الإنجليزي على مستويات مختلفة، ولكنّنا نرى أنّ شعراء كثيرين في أواخر عصر النيوكلاسيكية أو الكلاسيكية الجديدة والفترة الرومانسية كانوا يتعاملون مع مظاهر الطبيعة بشكل آخر وينظرون إليها نظرة أكثر عمقاً، حيث يمكننا أن نشير، في هذا الصدد، إلى قصيدة "الفصول[٥]" لجيمز تامسون[٦]، أوّل شاعر للطبيعة وأكثر الشعراء شعبيّة في القرن السابع عشر ووليام وردزورث في القرن الثامن عشر، كما كان كلٌّ من

---

١ - شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات: الشام**، ص ٢٥٧.

٢- محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر الفاطمي**، ص١٤.

٣- انظر: شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات: الأندلس**، صص ٢٩٣- ٣٢٢.

٤- انظر: جميلة الخوري، **الطبيعة في الشعر الأندلسي**، صص١٨- ٢٨.

5 The Seasons

6 James Thomson

جون كيتس[١] وبيرسي شيللي[٢] من شعراء الطبيعة المعروفين[٣]. وإنّ المقارنة بين الشاعرين غير مسبوقة.

نبذة عن حياة صفيّ الدين الحلّي (٦٧٧هـ/١٢٧٧م- ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)

هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم الطائي السنبسيّ الحلّي من حلة بابل بالعراق، بها ولد يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة في أسرة ذات مكانة في بلدها. نشأ محبّاً للأدب مقتدراً على نظم الشعر، وإن لم يجعله في مستهل حياته حرفته يتكسب منه، ويقصد الممدوحين لطلب الجائزة[٤]. وقد كان كثير التنقل، فاتصل بملوك عصره وكان لهم أثر في نتاجه الأدبي. نزح إلى ملوك ماردين، وملك حماة أبي الفداء، وزار بغداد ودمشق والقاهرة والحجاز وغيرها، وعاد أخيراً إلى بغداد فتوفّي بها عام ٧٥٠ للهجرة[٥]. أولع بنظم الشعر منذ أن شبّ عن طوقه، وأخذ على نفسه ألّا يمدح إلاّ كريماً، وألّا يهجو إلاّ لئيماً، فكأنّه على حدّ قوله: لم ينظم شعراً إلّا فيما أوجب له ذكراً. كان صفيّ الدين شيعياً متعصّباً، وشيعيته شديدة البروز في شعره، وكان فارساً شجاعاً[٦]. يمكن بعد هذا العرض أن نحدّد منْزلة الشاعر الأدبية، فقد ذكر ابن تغري بردى أنّه: «أحد فحول الشعراء» وذكر ابن حجر العسقلاني أنّه: «تعانى الأدب فمهر في فنون الشعر كلها»[٧].

نبذة عن حياة وليام وردزورث (١٧٧٠- ١٨٥٠م)

يعتبر الشاعر البريطاني[٨] وليام وردزورث[١] رائداً من روّاد المدرسة الرمانسية في إنجلترا بعد أن نشر مجموعة قصائده الغنائية عام ١٧٩٨م. ولد وليام وردزورث في السابع من نيسان عام ١٧٧٠م في

---

[1] John keats

[2] Percy Shelley

[3] Jalal Sokhanvar, An Abridged Edition of The Norton Anthology of English Literature, Author, Eshtiaghe noor, 1390, pp471-503.

[٤]- محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر المملوكي**، ص ٤٦١.

[٥]- جودت الركابي، **الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار**، ص ٢٢٠.

[٦]- صفيّ الدين الحلّي، **الديوان**، ص ٥.

[٧]- عمر موسى باشا، **تاريخ الأدب العربي العصر المملوكي**، صص ٣٤٠-٣٤١.

[8] -British

كوكرماوث[٢] في مدينة كمبرلند[٣]. كان أبوه، جون وردزورث[٤]، محامياً. وفي الثامنة من عمره فقد والدته ثم أباه بعد ذلك بخمس سنوات. وبسبب المشاكل العائلية، اضطرّ وليام أن ينفصل عن أخته دوروثي[٥] التي كانت شخصاً مهماً في حياته. التحق عام ١٧٧٨م بمدرسة محلية في هوكشيد[٦]، ثم استطاع إكمال دراسته في جامعة كمبريج[٧]. ويمكننا تقسيم الحياة الأدبية لهذا الشاعر، والتي امتدت على مدى ستين عاماً، يمكننا تقسيمها إلى أربع مراحل: مرحلة البداية، ومرحلة الكآبة، ومرحلة الازدهار، ومرحلة الهبوط[٨]. توفّي وليام وردزورث في ٢٣/٤/١٨٥٠.

الخصائص الأدبية لعصري الشاعرين

لكل مرحلة زمنية خصائص وملامح وحدود تميّزها عن بقية المراحل وتفصلها عنها حتى وإن تداخلت في ما بينها وأدى بعضها لنشوء بعض. فقد عاش صفيّ الدين الحلّي في عصر الانحطاط بعد سقوط بغداد وفي عصر المماليك الذي امتد زماناً طويلاً تبّدلت فيه وجوه الحياة تبدّلاً كبيراً وخصوصاً ما لحق الحياة العربية من الضعف منذ أيام الحروب الصليبية، تلك الحروب التي استطاع المماليك أنفسهم أن يضعوا لها حدّاً وأن يردّوا خطرها عن البلاد الإسلامية[٩].

أما الحياة الثقافية في هذا العصر فقد انتقل العلم من العراق إلى مصر والشام بعد سقوط بغداد (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وكثر العلماء في كلّ فنّ والأدباء والشعراء خاصّة في مصر والشام. ومع أن المماليك لم يكونوا أهل حضارة في البيئات التي جاءوا منها، إلاّ أنّهم كانت لهم عناية بوجوه الحضارة وبنشر العلم. وإذا لم يكن اهتمام المماليك، وهم الطبقة الحاكمة، بالأدب من نثر وشعر يصرّفه أصحابه

---

[1] -William wordsworth

[2] -Cocker mouth

[3] -Cumber land

[4] -John wordsworth

[5] -Dorothy

[6] - Hawk shead

[7] -Cambridge

[8] - William wordsworth selected poem , p 9.

[٩]- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، ٣: ٦٠٥.

في مدح أهل الدولة، فإنّ اهتمامهم باللغة العربية بوصفها لغة السياسة والإدارة والعلم كان عظيماً جداً. ومن أبرز الخصائص الأدبية العامة في عصر المماليك وضوح الاتجاه الديني من الزهد والتصوف والبديعيات[١].

وقد زالت في هذا العصر كثير من الأسباب التي تنهض بالشعر وتحمل أصحابه على الإجادة فيه، فالملوك والسلاطين أعاجم لا يعنون إلّا في النادر بتشجيع الشعراء، وتقريبهم اليهم وإغداق الخير عليهم[٢].

بينما عاش وليام وردزورث في عصر الرومانسية في بريطانية. والرومانتيكية، أو الرومانطيقية، أو الرومانتية، كلمات تؤدي إلى معنى واحد تنبع منه وعنه تتفرّع وهو الرومانسية. ولا نستطيع الوقوف على معنى محدد للحركة الرومانسية لأنّ الأدباء والمفكرين اختلفوا في تحديد معناها بالضبط، إلاّ أنهم أجمعوا على أنها مذهب أدبي أخذ في الظهور في أوربا بعد قرن ونصف من ظهور الحركة الكلاسيكية، وكانت تهدف إلى التخلص من سيطرة الآداب الإغريقية والرومانية، وبخاصة حينما بدأت أقطار أوروبا تأخذ نفسها نحو الاستقلال في اللغة والأدب والفكر والاستعداد لدخول عصر النهضة.

والرومانسية مشتقّة من لفظة رومانيوس وهي لفظة سويسرية أُطلقت على اللغات والآداب المتفرعة عن اللغة اللاتينية القديمة. وأهم خصائص هذه المدرسة أنّ الأدب الرومانسي اتّصف بعدة صفات أهمها أنّه يجحد العقل ويتوّج مكانه العاطفة والشعور، ويسلّم القياد للقلب. وكانت النشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانتيكيين فكانت مشغلة لعقولهم، وجانباً هاماً من جوانب شخصياتهم، وموضوعاً خصباً لفلسفتهم وكتاباتهم[٣].

وصف الطبيعة عند صفيّ الدين الحلّي

أبناء العصر الأيوبي والمملوكي والعثماني من الشعراء – كأسلافهم من الشعراء – لم يقصروا أوييخلوا في شعر الوصف، بل ربما كانوا أكثر غزارة، وأشد فيضاً فيه من السابقين. إنهم لم يتركوا

[١]- المصدر السابق، ٣: ٦١٠ – ٦١٤.

[٢]- حنا الفاخوري، **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، صص١٠٢٧ – ١٠٢٨.

[3] - http://www.shathaaya.com

شيئاً إلا وصفوه، وافتنّوا في وصفه، بل كادوا يبزّون الأقدمين في أوصافهم[١]. ويعتبر صفيّ الدين من ائمة البديع المبتدعين في أنواعه المغالين في شعرهم بلا تكلّف[٢]. فقد صور الشاعر جوانب عصره فمدح الملوك ووصف الحياة اللاهية، ولكنه لم يصوّر جانبها العابس المظلم، ولم يتعرض لما كان في ذلك العصر من بطش وظلم. وصفيّ الدين الحلّي شاعر متنوّع الأسلوب، إلاّ أنه مقلِّد[٣]. أما الوصف فقد برع فيه شاعرنا واستخدام ضروب البيان لتجلية صوره، وجاء أحياناً كمقدمات لمدائحه، إلا أنّ له عدداً من القصائد المستقلة وصف فيها الطبيعة ومختلف مظاهرها[٤]. يبدع الحلّي في صوره وتشكيلاته اللفظية، ومن جميل وصفه للطبيعة ما جاء به من صور مبدعة في مستهل مديحه للناصر، حيث يقول:

خَلَعَ الربيع على غُصُونِ البانِ حُلَلاً فواضِلُها على الكَثْبانِ[٥]

وقد اشتهر بوصفه لمجالس اللهو والأنس، وبوصف مظاهر الطبيعة، وله زهرية جميلة مشهورة مطلعها:

وَرَدَ الربيعُ، فمَرحَباً بوُرُدِهِ وبِنُورِ بَهجَتِهِ، ونَوْرِ ورودِه[٦]

وقال في الروض الضاحك :

قد أضحك الروضَ مدمعُ السُّحبِ وتَوّجَ الزّهرُ عاطلَ القُضُبِ[٧]

وصف الطبيعة عند وليام وردزورث

بدأت حياة وليام الشاعرية في سواحل درونت في كاكرموث. وكان أساتذته يشجعونه على كتابة الشعر الإنجليزي بعد أن تكشّفت مواهبه وذوقه الرفيع في نظرته للطبيعة[١].

١- بكري شيخ أمين، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، صص ١٤٩-١٥٠.

٢- جودت الركابي، **الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار**، ص٢٢١.

٣- **المصدر نفسه**، ص٢٢٣.

٤- **المصدر نفسه**، ص ٢٢٥.

٥- **الديوان**، ص ٩٩.

٦- **المصدر نفسه**، ص ٥٥١.

٧- **المصدر نفسه**، ص ٥٥٣.

عاد حبّ وليام للطبيعة حديث المجالس حتى قال دي كوئينسي في هذا المجال: «إنّ حبّ وليام للطبيعة وشوقه لها هو في دمه والطبيعة لديه هي ضرورة لأن يبقي حياً كما تتعلق دودة القزّ بشرنقتها. وفي حقيقة الأمر، كان يحيا ويتنفّس عن طريق تعامله مع الطبيعة. إنّ اعتبار الطبيعة أمراً مقدساً قد بدأ في عصر النهضة، واستمرّ طيلة القرن الثامن عشر، ووصل ذروته في آثار هذا الشاعر المشهور في الأدب الإنجليزي. كان هدف وليام كشاعر هو البحث عن الجمال في المروج، والأكم، وأعالي الجبال، والتعبير عن ذلك الجمال بالاستعانة ببعض المصطلحات الذهنية والمعنوية »[٢].

ولبعض النقّاد آراء حول نظرة وليام وردزورث للطبيعة، حيث قالوا: «إنّ اعتقاد وليام بالقيم الأخلاقية لحبّ مناظر الطبيعة الخلّابة هو استدلال مغلوط، وإنّ مجالسة المناطق الجبلية لا تؤدي إلى أيّ نوع من الحبّ النقيّ، بل هي نوع من إطراء الذات يؤدي إلى عادة ذهنية غير اجتماعية، وبالتالي يكون سبباً لنوع من التعالي الفردي». ويقول هازليت في كلمة مُرّة: «يستطيع وليام أن يواسي ما في الطبيعة، حيث لا رقابة لها عليه»[٣].

تحليل أشعار الحلّي ووردزورث

نتناول هنا معاني وألفاظ ثلاث قصائد قيلت من قبل هذين الشاعرين في وصف الطبيعة، نتناولها بالدراسة، وكذا ما فيها من الوجوه البلاغية، ثم نعرّج على نقاط التشابه والاختلاف. وسبب اختيارنا لتلك القصائد هو أنّنا وجدناها أفضل ما أُثِرَ عن الشاعرين، كما أنّ الاقتصار على ثلاث قصائد من كل شاعر يمثّل حدّاً وسطاً بين القلّة والكثرة.

إنّ قصائد صفيّ الدين الحلّي الثلاث هي: «ملك تعبدت الملوك لأمره» و«مرحباً بالربيع» و«الروض الضاحك».

[1] - William wordsworth selected poem , p 9.

[2] -Arthur Compton – Rickett , A history of English literature , p 30.

[3] -Basil willey , p 272, 273.

أمّا قصائد وليام وردزورث الثلاث فهي كالتالي: «تينْتِرِن أَبَيْ Tinteren Abbey»[١] و« أبياتٌ قيلت في أول الربيع Lines written in early spring the poem»[٢] و«تجوّلتُ وحيداً كسحابة I wandered lonely as a cloud»[٣].

أ. ملك تعبدت الملوك لأمره - تينْتِرِن أَبَيْ

القصيدة نظمها الحلّي خلال وجوده بمصر، يمدح بها السلطان المنصور قلاوون، وقد استهلها بوصفه طبيعة مصر، فتحدث عن الطبيعة بشكل عام أولاً، ثم خصّ جنات مصر وأهراماتها بالوصف[٤].

إنّ هذه القصيدة تصوّر الطبيعة ونمو النباتات في فصل الربيع، حيث يقول:

خَلَعَ الرَّبيعُ على غُصـــونِ البَـــانِ حُلَلاً، فواضِلُـــها على الكثبانِ

ونَمَت فروعُ الدَّوحِ حتى صافحَت كفَلَ الكثيبِ ذوائبُ الأغصانِ

كما صوّر الحلّي إخراج الزهور في أعالي الأغصان وفوق الأعشاب وتنوّع ألوانها وأشكالها بقوله:

وتَوّجت هام الغُصون وضَرّجت خَدَّ الرّياضِ شَقائقُ النُّعمانِ

وتَنوّعت بُسطُ الرّياضِ ، فزَهرها متَباينُ الأشكـــالِ والألوانِ

ويذكر من ألوان الأزهار: الأبيض الناصع، والأصفر الفاقع:

مِن أبيضٍ يقَقٍ وأصفَرَ فـــاقِعٍ، أو أزرَقٍ صافٍ، وأحمَرَ قانِ

كما تصوّر هذه القصيدة حركة الظلال بين الأغصان التي تحرّكها الرياح الهادئة:

والظّلُّ يسرِقُ في الخمائلِ خَطوَهُ والغُصنُ يخطِرُ خِطرَةَ النَّشوانِ

وكثرة الأزهار على الأغصان:

وكأنّما الأغصانُ سُوقُ رَواقِصٍ قَد قُيدَت بسَلاسِلِ الرَّيحانِ

---

[1] - William wordsworth & Coleridge , lyrical ballads , p113.

[2] - William wordsworth & Coleridge , lyrical ballads , p69.

[3]- www.poemhunter.com.

[٤]- عمر موسي باشا، **تاريخ الأدب العربي العصر المملوكي**، صص ٣٠٨ - ٣٠٩.

ودخول ضوء الشمس من خلال فروع الأشجار الكثيرة، أي قلة أو ضعف أشعة الشمس الداخلة،

والشّمسُ تَنظرُ من خِلالِ فُروعِها، نحوَ الحَدائِقِ نظرَةَ الغيرانِ
والطّلعُ في خَلَلِ الكـــمامِ كأنّهُ حُلَلٌ تَفَتّقُ عن نُحورِ غَوانِ

وحالة الأرض عندما تنمو نباتاتها، والأمطار الدائمة النّزول:

والأرضُ تَعجبُ كيفَ تضحك والحيا يبكي بدَمعٍ دائمِ الهَمَلانِ[١]

ويصف سرعة تدّفق الماء في نهر النيل وشدّة جريانه تارة، وبطء جريانه تارة أخرى.

ولكنّ قصيدة تينْتِرِن أَبَيْ هي واحدة من أفضل أعمال وليام وردزورث. وهي قصيدة معقّدة تحوي مواضيع من قبيل الذكرى، والموت، والإيمان بالطبيعة والحبّ لها. يرى وليام في قصيدة تينْتِرِن أَبَيْ أنّ مناظر الطبيعة الجميلة هي مصدر لسلوته وهدوئه. كما أنّ هذه القصيدة هي أول قصيدة تبين العلاقة الرومانسية لوليام بالطبيعة وفيها يتحدّث عن المؤثرات العاطفية للعالم الخارجي عليه.[٢]

قيلت قصيدة تينْتِرِن أَبَيْ في تموز ١٧٨٩م وتم نشرها باعتبارها آخر قصائد وليام الغنائية. وفي عام ١٧٩٣م، سافر وليام وردزورث إلى تينْتِرِن أَبَيْ للمرة الأولى في الثالثة والعشرين من عمره وكان وحده.

يبدأ الشاعر المقطع الأول من قصيدته بعد خمس سنوات تقريباً من زيارته الأولى لتينْتِرِن أَبَيْ ولازال يتذكر الصخور الشامخة ذات الانحدار الشديد، وهدوء السماء، والمراعي الخضراء:

FIVE years have past; five summers, with the length
Of five long winters! and again I hear
These waters, rolling from their mountain-springs
With a soft inland murmur. -- Once again
Do I behold these steep and lofty cliffs,
That on a wild secluded scene impress

مرتْ خمسُ سنواتٍ؛ خمسةُ فصولٍ صيفيةٍ. طويلةٌ كأنّها ...

---

[١] - **الديوان**، ص٩٩.

[2] -Margaret Drabble , p 71.

خمسةُ فصولِ شتاءٍ طويلة! وأسمعُ ثانيةً ...

هذه المياه، متدحرجةً من جبالها الربيعية ..

مع ترنّمٍ ناعمٍ داخلي. – مرةً أخرى ..

أتُراني أرقب هذه الصخور الشديدة الانحدار العالية،

الملقاة على مشهد منفرد متوحّش

كما يتذكّر الدخان الغليظ المتصاعد من المداخن ويصوّر كلّ ذلك بدّقة وجمال. وفي المقطع الثاني يؤكد على أنّ علاقته المعنوية والصوفية بالطبيعة تشكل جانباً من وجوده حتى لحظة الموت وفي المقطع الثالث، يتساءل الشاعر أنّه لو كان مخطئاً في عقائده حول الطبيعة فما الذي قد يحصل؟ ثم يخاطب نهر «واي» بقوله: «يا واي، لقد لجأت إلى حماك من أجل أن تهدأ روحي وتسكن»... وغير ذلك.

Thoughts of more deep seclusion; and connect
The landscape with the quiet of the sky…
Until, the breath of this corporeal frame
And even the motion of our human blood
Almost suspended, we are laid asleep
In body, and become a living soul:
While with an eye made quiet by the power
Of harmony, and the deep power of joy,
We see into the life of things.
If this
Be but a vain belief…
O sylvan Wye! Thou wanderer thro' the woods,
How often has my spirit turned to thee![1]

أفكارٌ لمزيدٍ من العزلة العميقة؛ ثمّ اتّصلْ

بمناظر الطبيعة المصحوبة بهدوء السماء...

... نُلقى نائمينَ

في الجسد، ونُصبح أرواحاً حيّة

[1]- William wordsworth & Coleridge , lyrical ballads , p113.

حتى، لو أنّ تنفّسَ هذا الإطار المادي يكاد يتعطّل
وحتى لو أنّ حركة دمائنا البشرية
تبدو كأنّها تكاد تتوقّف.
بينما نرى،
بعين واحدة تستقرُّ هادئةً بفعل قوّةِ
الانسجام والقوّةِ الباطنيةِ للبهجة،
دواخلَ حياةِ الأشياء.
إذا لم تكنْ هذهِ
إلاّ إيماناً لا غير...
يا نهرَ "واي" الغابي! كم صَبَتْ روحي إليك
وأنتَ تتيهُ متجوّلاً خلالَ الغابات!

يبدو أنّ النقطة التي تشترك فيها القصيدتان لا تتعدى استلهام الطبيعة من قبل الشاعرين لبيان ما يرومان بيانه من أغراض ولا غير. أما نقاط الاختلاف فهي كثيرة، حيث إنّ الحلّي هو شاعر مقلّد لغيره يجري على أسلوب تقليديّ في المحتوى والأغراض مستفيداً من الأبيات الملّونة لوصف الطبيعة للتوصل إلى مدح السلطان منصور. فهو يصوّر الطبيعة ونمو النباتات في فصل الربيع، إخراج الزهور في أعالي الأغصان وفوق الأعشاب وتنوّع ألوانها وأشكالها، وحركة الظلال بين الأغصان التي تحرّكها الرياح الهادئة وكثرة الأزهار على الأغصان ودخول ضوء الشمس من خلال فروع الأشجار الكثيرة، وحالة الأرض عندما تنمو نباتاتها، والأمطار الدائمة النّزول، وهكذا يبدو لنا الحلي راوياً دقيق الوصف واسع الخيال. أما وليام وردزورث فهو شاعر رومانسي بأسلوب جديد في الشعر ونظرة جديدة إلى الطبيعة، إذ يجعلها وسيلة لبيان أفكاره الفلسفية. فقد تذكّر الصخور الشامخة ذات الانحدار الشديد، وهدوء السماء، والمراعي الخضراء كما تذكّر الدخان الغليظ المتصاعد من المداخن وصوّر كلّ ذلك بدّقة وجمال مبيّناً أنّ علاقته المعنوية والصوفية بالطبيعة تشكل جانباً من وجوده حتى لحظة الموت، فلم

يكن يصف جمادات، بل كان بين كائنات حية يعيش معها ويكلمها وتكلمه، فقد خاطب نهر **واي** بقوله: "يا نهرَ **واي** الغابي! كم صَبَتْ روحي إليك وأنتَ تتيهُ متجوّلاً خلالَ الغابات!".

ب.مرحباً بالربيع - أبياتٌ قيلت في أول الربيع

يصف صفيّ الدين في هذه القصيدة الطبيعة في فصل الربيع. وهذه القصيدة مستقلة زهرية جميلة حول الربيع. أما المعاني فهي:

كثرة الأنوار والأزهار:

وَرَدَ الربيعُ، فمَرحَباً بوُرُدِهِ وبِنُورِ بَهجَتِهِ، ونَوْرِ ورودِهِ

والنسيم الطيب والمناظر الجميلة الملوّنة:

وبحُسنِ مَنظَرِه وطيبِ نَسيمِهِ، وأنيقِ مَلبَسِهِ وَوَشيِ بُرُودِهِ

والربيع هو أهم فصل في السنة:

فَصلٌ، إذا افتَخَرَ الزّمانُ، فإنّهُ إنسانُ مُقلَتِهِ، وبَيتُ قَصيدِهِ

ونسيم الربيع شفاء:

يغني المِزاجَ عن العِلاجِ نَسيمُهُ، باللّطفِ عندَ هبُوبِهِ ورُكودِهِ

ويصف كثرة الأزهار والثمار والبراعم والنباتات والبذور، ونمو الأوراق في الأغصان، وظهور الأزهار في أعالي الغصون، ويصف الأزهار قبل تفتحها كأنّها قلائد من اللؤلؤ تحيط بالأغصان، ويعدّد أنواع الأزهار فيذكر منها: الياسمين والنرجس، وغيرهما، وذلك بقوله:

والياسَمينُ كـــعاشِقٍ قد شَفّهُ جَورُ الحَبيبِ بهَجرِهِ وصُدودِهِ

وانظُر لنرجسِهِ الشّهِيّ كأنّـــهُ طَرْفٌ تَنَبّهَ بعدَ طولِ هجودِهِ[١]

ويذكر نظام انتشار الورد والزهر، والغيم الرقيق الذي يشبه صغار النخل والغيم الأسود المتراكم وغيره.

أما قصيدة «أبياتٌ قيلت في أول الربيع» فقد قيلت عندما كان الشاعر يجلس متفكراً إلى جانب نهر. ويقارن وليام في هذه القصيدة بين سرور المخلوقات وما في الطبيعة، وبين التجربة المؤلمة

[١] - **الديوان**، ص٥٥١.

للإنسان[١]. يصف وليام في قصيدته اللحظات باعتبارها مناظر طبيعية في حال الحركة، فأغصان الأشجار تبحث عن الشمس وتسعى إلى أن تفرّ من مكان يُستفاد فيه من شجرة مكسورة جسراً على ماء يجري على صخور شديدة الانحدار. يصف الشاعر في المقاطع الأولى، تجربته مع الطبيعة ويقول إنّ مسايرة الطبيعة تشبه جسراً بين روح الإنسان وبين الله.

يرى الشاعر أنّ الطبيعة التي تحيط بالإنسان هي مكان لمعرفة الإنسان وذاته. وهو يؤمن أنّ الإنسان يستطيع أن يبرز أفكاره وأحاسيسه دون أيّ تعقيد. وأنّ الهدف من هذا الشعر هو رسم علاقة عقائد الإنسان بأحاسيسه عند الانفعال[٢]. ويرى وليام أنّ الأنسان والطبيعة يجمع بينهما تناسب ذاتيّ بالنسبة لبعضهما البعض الآخر ويقول إنّ ذهن الإنسان يشبه مرآة تصوّر كافة خصائص الطبيعة المهمّة[٣].

I heard a thousand blended notes,
While in a grove I sate reclined,
In that sweet mood when pleasant thoughts
Bring sad thoughts to the mind.
To her fair works did nature link
The human soul that through me ran,
And much it grieved my heart to think
What man has made of man.
Through primrose tufts, in that green bower,
The periwinkle trailed its wreaths,
And tied my faith that every flower
Enjoys the air it breathes[٤]…

سمعتُ ألفاً من الملاحظات،
بينما استويتُ راقداً في أجمة،
في تلك الحالة المحبّبة عندما تجلب الأفكارُ السارّةُ

[1] -www. Literary jewels .com

[2] -Lrical Ballads , 1802 , volume I.

[3] - Lrical Ballads , 1802 , volume I , Preface.

[4] - William wordsworth & Coleridge , lyrical ballads , p69.

أفكاراً حزينة للذهن.

فهل تشدُّ الطبيعةُ، لأعمالها الجميلة،

روحَ الإنسانِ التي تجري من خلالي،

وقد كدّرت قلبي كثيراً وجعلتني أفكّر..

في ما فعله الإنسان بالإنسان؟

من خلال ذوائب زهرة الربيع، في ذلك العريش الأخضر،

سلسلتِ العِناقِيّة[١] أكاليلها من الزهر،

ورسّخت إيماني بأنّ كلَّ زهرة

تستمتعُ بالهواء الذي تتنفّسه...

ومن الواضح في هاتين القصيدتين أنّ الطبيعة المحيطة بالشاعرين هي مصدر إلهامهما، حيث قام كلّ منهما بكتابة شعر في وصف الطبيعة المحيطة به حسب ذوقه وأحاسيسه. ولكن الظاهر للعيان هوأنّ الظروف البيئية التي عاش فيها كلا الشاعرين أدّت إلى أن ينشدا نوعين مختلفين من شعر الطبيعة. فطبيعة بريطانيا، مثلاً، بظروفها المناخية الباردة تؤدي إلى أن تتأخر الطبيعة في استقبال الربيع، فنشاهد بوضوح في شعر وليام (أغصان الأشجار تبحث عن الشمس). ولكننا نرى في شعر الحلّي، على النقيض من شعر وليام، وصفاً مباشراً للأشجار والأزهار والطبيعة الخضراء المحيطة به. والفرق الآخر بين الاثنتين هو النظرة الشعرية التي تميز كلّ واحد منهما، إذ نظر الحلّي للطبيعة نظرة سطحية فيما نظر وليام للطبيعة نظرة فلسفية عميقة، حيث الطبيعة لها مشاعر يُحسُّ بها (ورسّخت إيماني بأنّ كلَّ زهرة تستمتعُ بالهواء الذي تتنفّسه). وهو يشرح أحاسيسه للطبيعة، شاكياً إليها حالة مجتمعه (وقد كدّرت قلبي كثيراً وجعلتني أفكّر في ما فعله الإنسان بالإنسان؟)، ما يفسر لنا علّة لجوء الرومانسيين للطبيعة. فالطبيعة والحلّي شيئان مختلفان، ولكن وليام هو جزء من الطبيعة وهي جزء لا يتجزّأ منه.

ج- الروض الضاحك - تجوّلتُ وحيداً كسحابة

إنّ قصيدة الروض الضاحك هي قصيدة مستقلة حول الربيع أيضاً ومعانيها هي:

[١]- اسم نبتة معترشة يُستخرج منها دواء للأورام.

نزول المطر على الروضة أدّى إلى تفتح أزهارها واكتساء الأغصان بالأزهار، يقول:

قد أضحك الرّوضَ مدمعُ السُّحب وتَوّجَ الزّهرُ عاطلَ القُضُبِ

ونسيم الصبا الهادئ أدّى إلى تفتح الورد:

وقَهقَهَ الوَردُ للصَّبَا، فغَــدَت تَملأُ فاهُ قُراضَةُ الذّهَبِ

وأقبَلَت بالرّبيعِ مُحدقَةً، كتائبٌ لا تُخِلّ بالأدَبِ

واستواء الغصون وامتدادها، وكثرة الكروم واشتدادها:

فغُصنُها قائِمٌ على قَدَمٍ، والكرمُ جاثٍ لهُ على الرُّكبِ

وكثرة السحب والأمطار وامتلاء الأرض بالنبات:

والسُّحبُ وافَت أمامَ مَقدَمِهِ، لهُ تَرُشّ الطّريقَ بالقُرَبِ

والأرضُ مَدّت لوَطءِ مَشيتِهِ، مَطارفاً من رِياضِها القُشُبِ[١]

وتكوين المطر الخفيف فقاعات عند سقوطه على سطح الماء، وتغريد الطيور وغناؤها، وتمايل الأغصان وغيره.

وأمّا قصيدة "تجوّلتُ وحيداً كسحابة"، واسمها الآخر «النرجس الأصفر»، فقد أنشدها وليام وردزورث عام ١٨٠٤م ونشرت لأول مرة عام ١٨٠٧م في كتاب أشعار وليام الذي صدر بمجلدين[٢]، علماً أن صيغتها المعدلة قد صدرت عام ١٨١٥م. وقد استلهم وليام هذه القصيدة من الماضي عندما كان يمر هو وأخته إلى جانب سهل تكثر فيه أزهار النرجس الصفراء[٣]. وهذه القصيدة هي واحدة من قصائد وليام المشهورة التي اختلطت فيها الرومانسية بالكلاسيكية الإنجليزية. وقد استفاد الشاعر في هذه القصيدة من مفردات عاطفية مؤثرة من قبيل «الذهبي» و«الرقص»

[١] - **الديوان**، ص٥٥٣.

[2] - William wordsworth , Representative poetry on line , 2009.

[3] -Magil frank northen , p 10,40.

و«النشاط»، وكان موضوعها بيان أحاسيس الإنسان الأولية بشكل بسيط، حيث كان الشاعر يؤمن بذلك بشكل عجيب[١].

إنّ قصيدة «النرجس الأصفر» هي غزل قصير لا مثيل له يُمدح بكونه بسيطاً وطبيعياً يفجأ المتلقي بعبارات جميلة. وإنّ أهم تأثير تتركه القصيدة على النفوس هو ما تتركه الطبيعة على الأشخاص الغارقين في عالمهم المادي الجاف، إضافة إلى نظرية الخلق الشاعري الذي قام وليام بتصويره في هذه القصيدة بأجمل ما يكون.

I wandered lonely as a cloud
That floats on high over vales and hills.
When all at once I saw a crowd,
A host of golden daffodils
Beside the lake, beneath the trees,
Fluttering and dancing in the breeze
Continuous as the stars that shine
And twinkle on the milky way,
They stretched in never-ending line
Along the margin of a bay:
Ten thousand saw I at a glance,
Tossing their heads in sprightly dance[٢]…

تجوّلتُ وحيداً كسحابة
تطفو مرتفعة على الوديان والتلال،
حين أشاهد، دفعةً واحدة، ازدحاماً
مشهداً من ورود النرجس الذهبية
إلى جانب البحيرة تحت الأشجار
مترنّحةً راقصة في النسيم العليل
متسلسلة كالنجوم المتلألئة

[1] - William wordsworth , poems , p 191.

[2] - www.poemhunter.com.

باهتة في درب التبّانة

مسمّرة إلى خطٍّ لا ينتهي

على امتداد الساحل

أرى عشرة آلاف منها بنظرة واحدة

تحرّك رؤوسها برفق في رقصة ربيعية

استفاد الشاعران في هاتين القصيدتين من الطبيعة الجميلة المحيطة بهما ووصفاها بأسلوب جميل، ولكنّ الحلّي صوّر لنا كافة جوانب روضة خضراء بمفردات مثل (المطر، الأزهار، النسيم، الأشجار،...) واصفاً تحوّل الأشجار في فصل الربيع، بينما نظر وليام إلى أزهار النرجس الصفراء نظرة مختلفة، فهو لا يرى زهوراً يحركها النسيم، بل فتيات رواقص وهي فرحة مبتهجة مصطفّة في الملكوت في صفوف تمتدّ إلى ما لانهاية (مترنّحةً راقصة في النسيم العليل، متسلسلة كالنجوم المتلألئة، باهتة في درب التبّانة، مسمّرة إلى خطٍّ لا ينتهي على امتداد الساحل). وتشبه هذه القصيدة قصيدة (الروض الضاحك) بسبب احتوائها على مضامين بسيطة في نظرهما إلى الطبيعة. ولا يعني ذلك أنّ الحلي ينظر للطبيعة كجمادات وصور فحسب، بل نراه بعض الأحيان يعاملها معاملة الأحياء فيخلع عليها صفات إنسانية (والكرمُ جاثٍ لهُ على الرُّكبِ).

إنّ الألفاظ التي استعملها هذان الشاعران ترتبط ارتباطاً مباشراً بالطبيعة. فقد تكررت كلمة «الربيع» خمس مرات لدى صفيّ الدين في قصائده الثلاث، وتكررت كلمة غصن أومرادفها «فرع»؛ مجموتين أومفردتين إحدى عشرة مرة، كما تكررت كلمة «الرياض» ومرادفها «الحدائق» ست مرات. أما مفردات من قبيل «زهر» ومرادفها «ورد» و«قداح» فقد تكررت إحدى عشرة مرّة؛ مجموعة أو مفردة. وقد وردت أسماء الأزهار تسع مرات، فيما تكررت ألوانها في القصائد الثلاث ست مرات. وتكررت كلمة «السحاب» ومترادفاتها عشر مرات، وتكررت كلمة «الماء» و«النهر» ثماني مرات. إنّ تكرار هذه الكلمات يفسر لنا شدّة ارتباط الشاعر بالطبيعة وإعجابه بها ما جعل أشعاره تكتسب جمالاً خاصاً ولطافة تميّزها عن غيرها.

أما الألفاظ المتعلّقة بالطبيعة التي وردت في قصائد وليام الثلاث فقد كانت أقلّ منها لدى الحلّي. إذ تكررت كلمات «الزهر» وما يتعلق بها سبع مرات؛ كلمات من قبيل (flower - wreath - primrose tuft ...)، وجاءت كلمة «شجرة» مرة واحدة، فيما وردت كلمة «منظر» (landscape ,...) خمس مرات، وكلمة «نهر» (river) ثلاث مرات، وكلمة «جبل» (mount) خمس مرات، وكلمة «تلّ» (hill) مرة واحدة، وكلمة «غابة» (wood ,...) خمس مرات، وكلمات تتعلق بانعكاس الطبيعة في نفس الإنسان وما تتركه رؤيتها من أثر لديه، كلمات من قبيل «اللذة» (... , pleasure) تكررت خمس مرات أوكلمات كثر استعمالها في الشعر الرومانسي، مثل كلمة «رقص» (dance).

يلاحظ مما مرّ أنّ وليام استعمل كلمات تتعلق بالطبيعة أقلّ من صفيّ الدين، وذلك لأنّ الطبيعة لدى وليام هي إطار يستفيد منه لغرض بيان أفكاره ونظرته السلبية للحياة المادية، وعليه يكون شعر صفيّ الدين في وصف الطبيعة أكثر غنىً من شعر وليام في هذا المجال. ومن الملفت للنظر أن كلمة «الربيع» التي وردت في شعر صفي الدين خمس مرات لم ترد أصلاً في قصائد وليام الثلاث، ما يدلّ علي أنّ الطبيعة التي وصفها صفي الدين هي طبيعة محدودة بفصل الربيع، بينما لم يحدّد وليام طبيعته بفصل إلاّ في موارد خاصة، إذ هي عامة لديه، فهو ينظر لها نظرة غير محدودة، وقد يعود السبب في ذلك إلى بيئة الشاعرين المختلفة ونظرة كلّ منهما إلى الطبيعة.

إنّ القالب الشعري الذي استفاد منه صفيّ الدين هو قالب القصيدة العمودية التقليدي، وهو قالب يعتمد على وحدة الوزن والقافية؛ تقليد أخذه ممن سبقه من الشعراء، لكنّ أشعار صفي الدين تمتاز عن أشعار من سبقه بكثرة استعمال الصور البيانية والصنايع البديعية كثرة مفرطة في قصائده، وقد يعود ذلك إلى طبيعة العصر الذي كان يحيا فيه. فقد استعمل الاستعارة كثيراً والتشبيه والمقابلة والمطابقة و...، وهذه نماذج منها:

الاستعارة: "خَلَعَ الرَّبيعُ .. حللاً"، "ذوائبُ الأغصان"، "تَوّجت هام الغُصون"، "ضَرّجت خَدَّ الرّياضِ"، "الظّلُّ يسرِقُ في الخمائلِ خَطوَه"، "الغُصنُ يخطِرُ"، "والشّمسُ تَنظرُ"، "قَهقَهَ الوَردُ"، "تَملأُ فاهُ قُراضَةُ الذّهَبِ" "السُّحبُ تَرُشّ الطّريقَ بالقُرَبِ"،

"الأرضُ مَدّتْ مَطارفاً".

التشبيه: "الطّلعُ في خَلَلِ الكـــمامِ كأنّهُ حُلَلٌ"، "كأنّما الأغصانُ سُوقُ رَواقِصٍ".

الاستعارة والمقابلة والمطابقة: "غُصنُها قائِمٌ على قَدَمٍ والكرمُ جاثٍ لهُ على الرُّكبِ"، "الأرضُ تضحكُ والحيا يبكي"، "أضحك الرّوضَ مدمعُ السُّحب"، "تَوّجَ الزّهرُ عاطلَ القُضُبِ".

قصيدة «ملك تعبدت الملوك لأمره»، بحرها الكامل التام، والملاحظ أنّ تفعيلة العروض جاءت مقطوعة وكان ضربه كذلك وقد دخل عليها زحاف الإضمار في بيتين. أمّا قصيدة «مرحباً بالربيع»، فبحرها الكامل التام أيضاً. لكنّ قصيدة «الروض الضاحك»، بحرها المنسرح المطويّ، عروضه مطوية وكان ضربه كذلك.

لكنّ أشعار وليام ليست واحدة بالنسبة للعروض، فقد كتب وليام قصيدة «تيتْتِرِن أَبَيْ» بشكل شعر موزون يتكون من عدة مقاطع وكلّ مقطع من عدة أسطر، كل سطر يتكون من خمس تفاعيل «آيمبيك iambic» دون قافية، وبما أنّ شعره يحمل خصائص القصيدة المفردة الدرامية الحوارية فإنّ تصنيفها يعدّ أمراً ليس بالهين[١]. وقد استفاد الشاعر من تقنية الإلهام المزدوج في كتابة أبياته. فيما تتكون قصيدة «أبيات قيلت في أول الربيع» من ستة مقاطع، كلّ مقطع يتكون من أربعة أسطر، وكلّ سطر يتكون من عدة تفاعيل «iambic feet»، تتوحد فيها القافية بين الأسطر المفردة والأسطر المزدوجة وتتنوّع القوافي فيها كما يلي: ABAB,CDCD,EFEF,GHGH.

ولكنّ قصيدة «أزهار النرجس الصفراء» تتكون من أربعة مقاطع، كلّ مقطع من ستة أسطر، تتوحّد فيها القوافي المزدوجة بين السطر الأول والسطر الثالث، والسطر الثاني مع السطر الرابع، وينتهي كلّ مقطع بسطرين بقافية موحدّة.

ومن الناحية البلاغية يكثر صفي الدين من استعمال البديع، كما أسلفنا، وذلك مما شاع في عصره. وكثيراً ما استفاد صفي الدين من الاستعارة بنوعيها التبعية والمكنية واستفاد من التشبيه، خاصة التشبيه المرسل، وذلك لرسم صور كاملة للربيع تعبّر عن إعجاب صاحبها به. كما استفاد من الجناس أكثر من بقية أنواع البديع.

---

[1] -Fram Wikipedia , the free ency clopedia

أما وليام فقد استفاد في قصائده من علم البيان كثيراً، وخاصة التشخيص والإستعارة والتشبيه، وكان التشخيص كثيرا في أشعاره كثرة مفرطة بحيث يسم شعره بسمة مميزة ما يدل على أنّ الطبيعة لدى وردزورث كائن حيّ يسمع ويرى ويتحدث مع الشاعر و لم تكن أشياءً جامدة.

التجربة الشعرية لدى الشاعرين

التجربة الشعرية هي "الظروف والعوامل التي عاشها الشاعر حقيقةً أو تخيّلاً ثمّ انفعل بها وتأثّر"[١]، ثم عبّر عنها شعراً أدخل فيه كافة أفكاره وأحاسيسه ورسالته التي يبغي إيصالها للقارئ، فالشاعر لا يكتب لنفسه فحسب، بل إنّ الشعر تعبير وتمثيل ومرآة صادقة تعكس دواخل الشاعر ونفسيته حتى وإن ادّعى خلاف ذلك.

صفيّ الدين الحلّي في القصيدة الأولى، كما لاحظنا، يقف خارجها ولا يتفاعل مع معانيها وأجزائها ولو بحثنا عن صور كلية فيها لأعيتنا، إذ إننا لا نستطيع أن نرى تلك الصورة في قصائد صفيّ الدين الحلي لأنّ قصائده متعددة المواضيع والطبيعة فيها ليست غاية في نفسها، الغاية هي إظهار المقدرة الأدبية للشاعر وتمهيد أذهان السامعين للغرض الأصلي. أما إذا اعتبرنا أبيات الطبيعة منفصلة ومستقلّة عن غيرها من الأبيات، كما هو الحال في القصدتين الثانية والثالثة، فإننا، حينذاك، نستطيع أن نشاهد صورة متناثرة الأجزاء للربيع. أما أجزاء الصورة في القصيدة الأولى فهي الأغصان النامية بأوراقها الجديدة وأزهارها الجميلة المتنوّعة الأشكال والألوان والأشجار المتشابكة الفروع التي تحجب نور الشمس وقد تفتّق طلع النخيل كما نرى الأرض مليئة بالنباتات والأمطار التي يستمرّ نزولها دون توقّف. أما في القصيدة الثانية فهي النباتات الجميلة المنظر والنسيم العليل ونوعان من الأزهار هما الياسمين والنرجس. وفي القصيدة الثالثة تتجلّى في كثرة الأمطار والورود المتفتّحة والنباتات الخضراء التي غطّت سطح الأرض ووجهها والكروم. وهذه الأجزاء لا تستطيع خلق صورة واضحة للربيع بحال من الأحوال، إلا أن يستعين المتلقّي بمخيّلته لإكمال الأجزاء الناقصة في تلك الصورة، فصفيّ الدين الحلي لا يرسم لنا لوحة متكاملة للربيع، بل هي صورة ممزّقة ناقصة.

---

[١]- صادق خورشا، **مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه**، ص٩.

أما عناصر الصورة فنراها في اللون والحركة والصوت، فقد تنوّعت الألوان بين الأبيض والأصفر والأزرق والأحمر ونرى الظلّ متحرّكاً لا يثبت على حال والشمس الناظرة والمطر الذي يترل دون انقطاع كما نسمع صوت بكاء السحب المستمر. وتتفاوت هذه العناصر بين قصيدة وأخرى شدّةً وضعفاً، فبينما يوجد الصوت بقوّة في القصيدة الثالثة للدلالة على هطول الأمطار نجده أقلّ حضوراً في القصيدة الثانية، وكذا بقية العناصر.

أما إذا بحثنا عن العاطفة فإننا لا نكاد نراها، بل هي معدومة إلا إذا اعتبرنا إحساس الشاعر بالفرح لحلول فصل الربيع جزءً منها. فالقارئ يشعر أنه يتعامل مع جسد بلا روح لذلك لا يستطيع الانسجام مع الشاعر والتواصل معه. والواقع أننا لا نرى الشاعر في هذه القطعة، بل هو يمثّل دور الراوي الذي يصف ما تراه عيناه أو ما تسمعه أذناه، أما هو (الشاعر) فلا يتفاعل مع ما يراه وما يسمعه وكأنه لا يعنيه. لذلك لا نرى تجربة شعورية عاشها الشاعر أو مارسها. ولهذا السبب لا نرى الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقي الذي يحسّ بلاهدفية الشعر وغياب الشاعر.

أما وليام وردزوث فلم تكن الطبيعة وسيلة ثانوية لديه، بل هي وسيلة هامّة، أو قل وحيدة للحياة وبيان رسالته، ومن ثمّ إيصالها إلى المتلقّي. وعلى العكس من صفيّ الدين الحلّي الذي يصف لنا الطبيعة المرئية والمسموعة، يتحدث وليام وردورث عن مظاهر الطبيعة وكأنّه يتحدث عن مفاتن حبيبته ليستلقي في أحضانها شارحاً همّه ومبيّناً حزنه. لذلك نرى في قصائد وليام وردورث صوراً كاملة لحالات الشاعر المختلفة. ففي القصيدة الأولى نراه متململاً في انتظاره، ثمّ نراه جالساً يستمع بدقّة إلى خرير المياه وهي تتحرّك منحدرةً، في الربيع، من أعالي الجبال، ويشاهد الصخور الشديدة الانحدار، والدخان الغليظ المتصاعد من المداخن، ونهر «واي» الذي يخاطبه بقوله: «يا واي، لقد لجأت إلى حماك من أجل أن تهدأ روحي وتسكن».

وفي القصيدة الثانية، نراه جالساً متفكراً إلى جانب نهر مقارناً بين سرور المخلوقات وما في الطبيعة، وبين التجربة المؤلمة للإنسان، مراقباً أغصان الأشجار وهي تبحث عن الشمس وتسعى إلى أن تفرّ من مكان يُستفاد فيه من شجرة مكسورة جسراً على ماء يجري على صخور شديدة الانحدار. أما

في القصيدة الثالثة فنراه يتجوّل وحيداً على ساحل بحيرة ينظر سحابة منفردة تعلو فوق الوديان والتلال وأزهار النرجس الصفراء.

وهكذا نرى في جميع صور وليام وردورث إنساناً في حالات مختلفة؛ فمرّة نراه جالساً يستمع بدقّة إلى أصوات الطبيعة المختلفة، وأخرى نراه جالساً متفكراً إلى جانب نهر، وثالثة نراه يتجوّل وحيداً على ساحل بحيرة، وهو في كل تلك الحالات يعتبر الطبيعة التي تحيط بالإنسان مكاناً لمعرفة الإنسان وذاته. وهي صور كاملة الأجزاء لأنّ الشاعر حاول تجسيد حالاته المختلفة، و لم يحاول تصوير الطبيعة إلا في ما يتعلّق بتكميل أجزاء الصورة الكلية. ففي أجزاء الصورة الأولى، نرى الشاعر مستمعاً للمياه المتدحرجة من الجبال في فصل الربيع، أو ناظراً إلى الدخان الغليظ متصاعداً ومعكّراً صفو الطبيعة وملوّثاً نقاءها وهو على ضفة النهر. وفي الصورة الثانية نشاهد الشاعر يجلس متفكراً إلى جانب نهر ونرى اللحظات في حال الحركة وأغصان الأشجار وقد نشرت الأزهار ذوائبها الجميلة ورفعت أكاليلها فوق العُرُش الخضراء. وفي الصورة الثالثة نرى الشاعر يتجوّل وحيداً، ثمّ يرسم لنا صورة سحابة تطفو مرتفعة على الوديان والتلال ومشهداً من ورود النرجس الذهبية إلى جانب بحيرة وتحت الأشجار، مترنّحةً راقصة في النسيم العليل على خطٍّ لا ينتهي على امتداد الساحل تحرّك رؤوسها برفق في رقصة ربيعية.

أما عناصر الصورة الثلاث فإننا نستطيع رؤيتها بوضوح في قصائد وليام وردورث، وأوضح تلك العناصر في كافة الصور هو عنصر الحركة التي تتجلّى في تعبيرات من قبيل التدحرج والمرور والترنّم والمراقبة والتفكر والمناظر الطبيعية التي في حال الحركة باحثةً عن الشمس وساعيةً إلى الفرار والماء الذي يجري وتجوّل الشاعر وترنّح الزهور ورقصها محرّكةً رؤوسها برفق في رقصة ربيعية. ونرى عنصر الصوت على مستوى أقلّ في كلمات من مثل الترنّم الداخلي الناعم للمياه، متدحرجةً من الجبال. ونرى اللون في النجوم المتلألئة الباهتة والشمس وأزهار النرجس الذهبية والمناظر الطبيعية. وهكذ ا نرى عناصر الصورة لدى وليام وردورث تضجّ ضجّاً.

أمّا العنصر العاطفي فهو أكثر العناصر بروزاً وظهوراً في قصائد وليام وردورث، فمسايرة الطبيعة لديه تشبه جسراً بين روح الإنسان وبين الله. وكثيراً ما يلجأ للطبيعة هروباً من روتين الحياة المادية،

وهو ما نراه جليّاً في خطابه لنهر "واي"، حيث يقول: «يا واي، لقد لجأت إلى حماك من أجل أن تهدأ روحي وتسكن». وكذلك في قوله في نهاية قصيدته الثانية:

"ورسّخت إيماني بأنّ كلَّ زهرة

تستمتعُ بالهواء الذي تتنفّسه...".

كما نلاحظ انعكاس الطبيعة في نفس وليام وردزوث في قوله:

"وقد كدّرت قلبي كثيراً وجعلتني أفكّر..

في ما فعله الإنسان بالإنسان؟"

نتائج البحث

استفاد كلا الشاعرين من كلمة «الزهر» كثيراً وبصيغ مختلفة، وهذه الكلمة من رموز الطبيعة والربيع. كما استفاد كلا الشاعرين من وصف الطبيعة في قصيدتي «ملك تعبّدت الملوك لأمره، وتينْتِرِن أَبَيْ» وذلك للوصول إلى هدفيهما؛ مدح السلطان المنصور لدى صفيّ الدين، وبيان المعتقدات لدى وليام. وقد ظهرت تأثيرات بيئة الشاعرين الجغرافية في أشعارهما جلية واضحة، وكذلك طبيعة نظرة كلّ منهما إلى ما يحيط به من تلك البيئة. فكانت نظرة الحلّي إليها سطحيّة تكتفي بظواهرها ولا تتعمّق فيها وذلك بسبب طبيعة المدرسة التقليدية وسيره على خُطى الأقدمين، بينما كان وردزورث يرى في الطبيعة انعكاساً لأحاسيسه ومشاعره فينصهر فيها انصهاراً كاملاً مستغنياً بها عمّا سواها وذلك بسبب الظروف المادية التي كان يمرّ بها المجتمع الإنجليزي آنذاك والتي رفضتها المدرسة الرومانسية التي ينتمي إليها وردزورث. كما ظهر اختلاف أسلوب الشاعرين واضحاً في نظرتهما للطبيعة وكيفية التعامل معها؛ فوليام وردزورث شاعر من المدرسة الرومانسية ينظر للطبيعة نظرة تعبدية مليئة بالعاطفة ومؤطرّة بالخيال، فيما ينظر صفي الدين الحلّي إليها نظرة تقليدية عابرة متأثراً بالمدرسة الكلاسيكية. وقد كان صفي الدين أكثر استعمالاً للصناعات البلاغية من وليام، ولذا فإنّ شعر صفي الدين كان أكثر تعقيداً.

إنّ سطور وليام الشعرية روافد تصبّ في نهر واحد يوصل إلى هدف الشاعر، فيما تفتقر أبيات صفي الدين إلى ذلك، اللهم إلّا الموضوع الجامع لها، وهو وصف الطبيعة. ورغم كلّ الاختلافات الموجودة بين أشعار الشاعرين، يبقي الموضوع الذي يجمع بينهما والإطار الذي يغلّف أشعارهما هو

الطبيعة التي ينظر إليها كلّ منهما بقدسية ولكن بطريقته الخاصة. ولا نستطيع أن نرى صورة كلية في قصائد صفيّ الدين الحلي لأنّ قصائده متعددة المواضيع، فيما تنوّعت الألوان في صوره بين الأبيض والأصفر والأزرق والأحمر ونرى الظلّ والشمس الناظرة والمطر الذي يترل دون انقطاع كما نسمع صوت بكاء السحب المستمر. وتتفاوت هذه العناصر بين قصيدة وأخرى شدّةً وضعفاً، فبيما يوجد الصوت بقوّة في القصيدة الثالثة نجده أقلّ حضوراً في القصيدة الثانية، وكذا بقية العناصر.

تنعدم العاطفة في صور صفيّ الدين الحلي. فالقارئ يشعر أنه يتعامل مع جسد بلا روح لذلك لا يستطيع الانسجام مع الشاعر أو التواصل معه. والواقع أننا لا نرى الشاعر في هذه القطعة، بل هو يمثّل دور الراوي ولا نرى الرسالة التي يريد الشاعر إيصالها للمتلقّي الذي يحسّ بلاهدفية الشعر وغياب الشاعر، بينما نرى في قصائد وليام وردورث صوراً كاملة لحالات الشاعر المختلفة، كما نستطيع أن نرى عناصر الصورة الثلاث بوضوح في قصائد وليام وردورث، وأوضح تلك العناصر في كافة الصور هو عنصر الحركة، فيما نرى عنصري اللون والصوت أقلّ وضوحاً. أمّا العنصر العاطفي فهو أكثر العناصر بروزاً وظهوراً في قصائد وليام وردورث.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية

١. باشا، عمر موسى، **تاريخ الأدب العربي: العصر المملوكي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر،١٩٩٩م.

٢. الحلّي، صفي الدين، **الديوان**، تقديم: كرم البستاني، بيروت: دار صادر،١٩٩٠م.

٣. خورشا، صادق، **مجاني الشعر العربي الحديث ومدارسه**، الطبعة الأولى، طهران: سمت، ١٣٨١هـ.ش.

٤. الخوري، جميلة شحادة، **الطبيعة في الشعر الأندلسي**؛ رسالة جامعية لنيل شهادة أستاذ في العلوم، كلية الآداب، جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٤٦م.

٥. الركابي، جودت، **الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار**، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦م.

٦. سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي**، المجلد الثاني، الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت.

٧. ـــــــــــــــ، **الأدب في العصر المملوكي**، الجزء الثالث، الإسكندرية: منشأة المعارف، د.ت.

٨. شيخ أمين، بكري، **مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني**، الطبعة الثالثة بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.

٩. ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي**، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٩م.

١٠.....، **عصر الدول والإمارات: الشام**، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٠م.

١١.....، **عصر الدول والإمارات: الأندلس**، قم: ذوي القربى، ١٤٢٨ هـ.

١٢.الفاخوري، حنا، **الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م.

١٣.فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

ب. المصادر الأجنبية

1. Arthur Compton – Rickett, A history of English literature , London , 1963.
2. Basil willey, The Eighteenth Century Background , London , 1950.
3. Jalal Sokhanvar, An Abridged Edition of The Norton Anthology of English Literature Author**,** Eshtiaghe noor, 1390.
4. Magil Frank Northen, Wilson, John, Jason , Master Plots II , 1992.
5. William wordsworth selected poem by RAMA BRO Thers.
6. William wordsworth & Coleridge , lyrical ballads , 1991.
7. William wordsworth , Representative poetry on line , 2009

8. William wordsworth , poems , Reprinted From the original edition of 1807.
9. Wordsworth , Margaret Drabble , Evan Brothers Limited , London , 1963.

ت. مواقع الإنترنت

1. http://www. Literary jewels.com
2. http:// www.poemhunter.com
3. http://www.shathaaya.com
4. Wikipedia, the free encyclopedia.

وصف طبیعت نزد حلی و وردورث (از نگاه ادبیات تطبیقی)

دکتر شاکر عامري*، دکتر عباس مرادان**، محمد تقي رئيسي***، فاطمه محموديان****

چکیده

موضوع اصلی مورد بحث، وصف طبیعت نزد دو شاعر از دو مکتب و دو محیط متفاوت است، صفی الدین حلی، مشهورترین شاعر عصر مغولی در عراق یا عصر مملوکی در مصر و شام از یک سو و شاعر انگلیسی ویلیام وردزورث پیشگام مکتب رومانسی در بریتانیا از سوی دیگر است که نگاه آن دو به طبیعت مورد بررسی قرار گرفته است.

در ابتدای بحث، مختصری از زندگی دو شاعر و ویژگی های ادبی عصرشان آورده شد سپس به اسلوب وصف طبیعت نزد آن دو پرداخته شد. موضوع اصلی پژوهش، تحلیل سه قصیده از دو شاعر از لحاظ واژگان، معانی، ساختار، بلاغت و مقایسه ی بین آن دو برای روشن کردن نقاط اشتراک و اختلاف آن دو است؛ تا اینکه در انتهاء به این نتیجه می رسیم، که عاطفه تقریبا در تصاویر حلی وجود ندارد بنابراین نمی توان با شاعر انسجام و ارتباط برقرار نمود چراکه وی بیانگر نقش راوی است و پیامی که شاعر قصد رساندن آن را دارد بدون هدف است و شاعر در آن نمود ندارد درحالیکه قصاید ولیام وردورث تصاویری کامل از حالات مختلف شاعر است.

کلید واژه ها: صفی الدین حلی، ویلیام وردزورث، وصف طبیعت، عروض، بلاغت.

* استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، إیران. sh.ameri@semnan.ac.ir

** استادیار گروه زبان و ادبیات انگلیسی، دانشگاه سِمنان، إیران.

*** دانشجوی کارشناسی ارشد، زبان و ادبیات عربی، دانشگاه سمنان، ایران.

**** دانشجوی کارشناسی ارشد، زبان و ادبیات انگلیسی، دانشگاه سمنان، ایران.

تاریخ دریافت: ١٣٩٠/٠٦/٢٨هـ.ش= ٢٠١١/٠٩/١٩م تاریخ پذیرش: ١٣٩٢/٢/٠٦ هـ.ش = ٢٠١٣/٠٤/٢٦م

Description of Nature BySaffi Aldine Helly and William Wordsworth

Dr. Shaker Amery[*], Dr. Abass Moradan[**], MohammadTaghi Raeisi[***], Fatemeh Mahmoudian[****]

Abstract

The main topic of this article is description of nature by two poets from two different schools named Saffi Aldine Helly and William wordsworth. Saffi Aldine Helly is the most famous poet in the degeneration age in Iraq or Mamluki period in Sham (Syria) and Egypt, and William Wordsworth is the pioneer of Romanticism in Britain.

At the beginning of this article, there is a brief summary of both poets, lives, literary characteristics of their ages and different methods to describe the nature. Saffi Aldine Helly is well known for the use of samples of expression to illustrate his imaginations. He uses nature to praise kings and other natural events, but William Wordsworth considers nature as a necessity of his being, like that of a mulberry leaf to the silk worm. Another difference between them is their poetic attitudes toward nature. Saffi Aldine Helly has got a superficial attitude while Wordsworth's attitude is philosophical.

In this article three ballades of both poets are analyzed in terms of words, meanings, structure and eloquence And similarities and differences are compared. It is concluded that one can compare poems with similar contents but different methods in different ages.

KeyWords: Saffi Aldine Helly, William Wordsworth, Description of nature, Prosody, Eloquence.

[*] Assistant professor, Semnan University, Iran.

[**] Assistant professor, Semnan University, Iran.

[***] Student s of Arabic literature, Semnan University, Iran.

[****] Student s of English literature, Semnan University, Iran.